أساليب الإنشاء الطلبي
وطرق أفادتها غير معانيها الحقيقية
دراسة ونقد

للدكتور / محمود موسى حمدان

— ١ —

من الظواهر الأسلوبية ظاهرة افادة أساليب الانشاء معان غير معانيها الحقيقية • والتى تناولها بالدراسة والنقد كثير من البلاغيين الأقدمين والمحدثين ، خاصة فى أساليب الانشاء الطلبى بأنواعه الخمسة : الاستفهام ، والأمر ، والنهى ، والنداء ، والتمنى ، تاركين غير الطلبى ، لأنه — كما قالوا — تقل مباحثه من ناحية ، ولأن أكثر أساليبه منقولة من الخبرية الى الانشائية فبقى فيها ما كان قبل النقل من دلالات وأغراض[1] •

والمتتبع لأقوالهم فى هذه الأساليب يلحظ أن البحث عما يفاد بها ، وطرق هذه الافادة خطا خطوات ثلاث :

الخطوة الأولى :

وتتمثل فى الكشف عن دلالة هذه الأساليب ، وما قد يصاحبها من معان وأغراض •

ويعد الامام عبد القاهر — رحمه الله — أول من أطال الحديث عن

---

(١) ينظر شروح التلخيص ٢/٢٣٦ وما بعدها ط السعادة بمصر •

هذه الأساليب عندما تناول التقديم مع الاستفهام ، خصوصا ما يفاد به معنى التقرير ، وما يفاد به معنى الانكار .. لكنه يذكر ذلك دون أن يصرح بأن أمثلته التى جاءت للانكار أو للتقرير من مجاز كذا[٢] .

ثم جاء بعده السكاكى ، وعقد للانشاء بابا خاصا فى كتابه مفتاح العلوم وبين فيه ما يستفاد من أساليبه من معان مختلفة دون أن يصرح بطريق هذه الافادة ، فيقول : « متى امتنع اجراء هـذه الأبواب على الأصل تولد منها ما ناسب المقام » ويقول فى مبحث الاستفهام : « واعلم أن هذه الكلمات كثيرا ما يتولد منها أمثال ما سبق من المعانى بمعونة قرائن الأحوال »[٣] .

ثم وليه الخطيب ملخصا وموضحا : وتكاد عبارته فى الايضاح عن خروج الاستفهام الى معان أخرى تكون هى عبارة صاحب المفتاح ، فهو يقول : « ثم ان هذه الألفاظ كثيرا ما تستعمل فى معان غير الاستفهام بحسب المقام »[٤] .

وعليه فالذى نسجله لهؤلاء الثلاثة قولهم بأن أساليب الانشاء قد يؤتى بها لافادة معان أخرى غير معانيها الحقيقية ، كما أنهم أبقوا هذه الافادة فى موطن الاحتمال ، دون أن يعينوا طريق افادة هذه المعانى بتلك الأساليب .

---

(٢) ينظر دلائل الاعجاز ٧٦ وما بعدها — أحمد المراغى المكتبة العربية ومطبعتها .

(٣) مفتاح العلوم ١٦٥ — ١٦٩ المطبعة الادبية .

(٤) الايضاح ٨١ صبيح .

الخطوة الثانية :

وتتمثل فى الاتجاه نحو تحديد طرق افادة هذه الأساليب المعانى والأغراض التى ذكروها ، وكان ذلك لأصحاب الشروح والحواشى .

ويبدو من آرائهم اختلافهم فى تحديد طريق الدلالة على هذه المعانى فمنهم من يرى مجازية هذه الأساليب ، ومنهم من يقول بأنها كناية . ومنهم من يجعلها من مستتبعات التراكيب .

القول بالمجاز :

نكاد نجزم بأن أول من قال بالمجاز فى خروج أساليب الانشاء — هو البهاء السبكى[٥] فهو عند شرحه عبارة التلخيص عن أدوات الاستفهام (ان هذه الأدوات كثيرا ما تستعمل فى غير الاستفهام) يقول : « يعنى أن هذه الكلمات الموضوعة للاستفهام قد تستعمل فى غيره مجازا »[٦] .

ويذهب السعد — أيضا — الى مجازية هذه الأساليب . فيقول عند عبارة التلخيص السابقة : « وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان أنه من أى نوع من أنواعه مما لم يحم أحد حوله »[٧] .

اذا البهاء السبكى والتفتازانى يريان أن هذه الأساليب ضرب من المجاز لكنهما لم يسميا هذا المجاز .

وقد يكونا غير قاصدين المجاز بالمعنى المتعارف وانما أرادا به الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له لملاحظة علاقة وقرينة أعم من أن

---

(٥) هذا منا يخالف ما ذهب اليه الدكتور المطعنى من أن السعد أول من صرح بمجازية هذه الأساليب وقد توفى السبكى ٧٧٣ والسعد ٧٩١ وينظر المجاز فى اللغة والقرآن الكريم ١/٤١٤ اولى مطبعة حسان .

(٦) عروس الأفراح = شروح ٢/٢٩٠ .

(٧) المطول ٢٣٥ مطبعة احمد كمال .

تكون القرينة مانعة من ارادة ما وضعت الكلمة له أم لا • يساعد على ذلك تسمية المعانى المستفادة من أساليب الانشاء بأنها معان مجازية مع تنوع شواهدها ، ووجود المعنى الحقيقى فى كثير منها • فتدخل تحت الكناية أو مستتبعات التراكيب(٨) •

وقد أرجع العلامة السيد — رحمه الله — فى تعقيباته على المطول — غموض هذا التجوز الى صعوبة بيان علاقة المجاز والمناسبة المجوزة له • وساق ما يبين العلاقة فى قول السائل : كم دعوتك ؟ قائلا : « الاستفهام عن عدد دعائه اياه يستلزم الجهل به المستلزم استكثاره عادة أو ادعاء ، لأن القليل منه يكون معلوما ، واستكثاره يستلزم الاستبطاء بهذه الوسائط ، فاستعمل لفظه فيه »(*) •

والذى نلحظه أن العلامة السيد فى بيانه العلاقة هنا وفى جميع ما تعرض له من شواهد الانشاء — يجعلها علاقة اللزوم — ولم يتعد اللزوم بمعناه العام الذى حاصله مطلق ترتب حصول اللازم عند حصول الملزوم على أى وجه كان ، ولو بمساعدة القرائن ، والذى يدخل فى عمومه اللزوم الناشىء من قبل العقل أو العادة أو اللزوم الذهنى المحض ، ويتحقق فى جميع وسائل البيان من مجاز بنوعيه وكناية • وعبارته السابقة صريحة فى ذلك حيث قال : المستلزم عادة أو ادعاء ••

لذا فانه يرد عليه ان كان يريد بالمجاز فى هذه الأساليب المجاز المرسل — كون اللزوم المعتبر علاقة خاصة من علاقاته يتعين أن يكون لزوما عقليا لا يفارق فيه اللازم الملزوم كاللزوم بين النار والحرارة ،

---

(٨) تنظر الرسالة البيانية للصبان والاتبابى عليها فى مواضع ٨٩، ٩٠، ١٠٠ المطبعة الأميرية أولى .

(*) حاشية السيد على المطول ٢٣٥ .

والشمس والشعاع ، والناطق والانسان • وهذا هو وجه صحة اعتباره علاقة خاصة من علاقات المجاز المرسل ، ودفع ما يلبس بين اللزوم فى عمومه وخصوصه من القول بأن اللزوم عام فى جميع العلاقات(٩) •

وبناء على ما قاله السيد ومناقشتنا له نقرر أمرين :

الأول : أن عموم اللزوم بين أساليب الانشاء وما يفهم منها من معان أخرى قد هيأ للقول بأن هذه الأساليب من باب الكناية ، لأن اللزوم فى الكناية يشمل ما كان من جهة العقل كاللزوم بين طول القامة وطول النجاد(١٠) •

وما كان من جهة العرف بمعونة القرائن كاللزوم بين كثرة الرماد وهزال الفصيل وجبن الكلب وبين الكرم ، واللزوم بين نوم الضحى والترف •

وساعد على ذلك — أيضا — بقاء المعنى الحقيقى فى كثير من الشواهد ، بل انه لا يمتنع وجودها مع استحالة المعنى الحقيقى • لأن ارادة المعنى جائزة لا واجبة(١١) •

---

(٩) تنظر هذه المسائل وهذه المفاهيم فى الرسالة البيانية للصبان ٤١٦ وحاشية الخضرى على الملوى على السمرقندية ٤٥ المطبعة الأزهرية — والعلاقات والقرائن فى التعبير البيانى رسالة ماجستير للكاتب مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة ١٣٤ ، أما الايراد المذكور فقد اقتضاه الموضوع الذى نحن بصدده .

(١٠) نحن فى هذا نخالف أستاذنا الدكتور ابراهيم الخولى فى نفيه عقلية العلاقة فى هذا المثال ينظر التعريض فى القرآن الكريم ١/٤٨ ، دار المعارف .

(١١) ينظر المطول ٤٠٧ .

الآخر : أنه متى يمكن القول بالمجاز المرسل فى هذه الأساليب فان العلاقة تكون الاطلاق والتقييد لكون المراد بها مطلق الطلب بعد أن كان الطلب فيها مقيـــدا بكونه طلب فهم ٠٠ فى الاستفهام أو طلب فعل ٠٠ فى الأمر أو طلب كف ٠٠ فى النهى وهكذا ٠

وممن قال بمجازية أساليب الانشاء التى دلت على غـــير معانيها ابن يعقوب المغربى ٠ وقد وسع القول فى بيان علاقات هذه الأســـاليب وقال عنها مرة بأنها كالمجاز عند بيانه غرض الاســـتبطاء فى المثال كم دعوتك ؟ ٠ وفى بقية الأمثلة صرح بأنها مجاز مرسل(١٢) ٠ ثم جرى على ذلك فى جميع شواهد الانشاء ٠

القول بمستتبعات التراكيب :

يعد البهاء السبكى أول من قال ذلك من أصـــحاب الشروح كقوله بالمجازية ٠ ويبدو أن الرجل كان بسبيل بيان الاحتمالات والاعتبارات المختلفة التى ينظر اليها عند تحليل الأساليب الانشائية ٠

لكنه يرى أن التحقيق ارجاع أساليب الانشـــاء الى حقيقتها ، واستظهر بقاء معنى الاستفهام مع ضميمه معنى آخر اليه فى الأساليب التى قال البعض بمجازيتها ٠ ونراه يتساءل ليقرر ما ذهب اليه قائلا : « هل نقول ان معنى الاستفهام فيه موجود وانضم اليه معنى آخر ، أو تجرد من الاستفهام بالكلية ؟ محل نظر ٠ والذى يظهر الأول ، ويساعده ما قدمناه عن التنوخى من أن — لعل — تكون للاستفهام مع بقاء معنى الترجى ٠ وقال التنوخى أيضا فى نحو « الحاقة ما الحاقة »(١٣) ليس استفهاما محضا ٠

---

(١٢) ينظر مواهب الفتاح — شروح التلخيص ٢/٢٩٠ وما بعدها .

(١٣) سورة الحاقة ١ ، ٢ ٠

ومما يرجح الأول أن الاستبطاء فى قولك : كم دعوتك ؟ معناه : أن الدعاء قد وصل الى حد لا أعلم عدده ، فأنا أطلب أن أفهم عدده ، والعادة تقضى بأن الشخص انما يستفهم عن عدد ما صدر منه اذا كثر فلم يعلمه • وفى طلب فهم عدده ما يشعر بالاستبطاء •

ثم يسير فى هذا التعليل قائلا : وأما التعجب ، فالاستفهام معه مستمر ، لأن من تعجب من شىء فهو بلسان الحال سائل عن سببه •• وأما التنبيه على الضلال فالاستفهام فيه حقيقى • لأنه يقول : أخبرنى الى أى مكان نذهب ، فانى لا أعرف ذلك ، وغاية الضلال لا يشعر بها الى أن ننتهى »(١٤) •

وهذا تعليل دقيق جدا • لأن الضلال وان بدت أماراته الا أن غايته لا تدرك الا عند نهايته ، والتى تكون بعد السؤال • فالسؤال عن أمر مجهول فعلا • مع اشعار ذلك بالتنبيه على ضلال •

وهكذا يتعقب السبكى جميع شواهد التلخيص مستظهرا ابقاء المعنى الحقيقى فيها ، مع ما يفهم منها من معانى الاستبطاء ، والتعجب ، والتنبيه على ضلال •

وكذلك يرى فى الاستفهام التقريرى المراد به طلب اقرار المخاطب — بقاء معنى الاستفهام ، مع كون السائل يعلم المسئول عنه ، مخالفا — كما قال — ما اقتضاه كلام الجميع • لأنه وان اتفق معهم فى كون التقرير مقصودا به ، الا أن الاستفهام باق على معناه ، لأن الاستفهام فيه ليس مقصودا به فهم المستفهم ، ولكن طلب فهم من لم يفهم كائنا من كان ، وعليه تكون الاستفهامات الواردة فى القرآن الكريم مصروفة الى غير

---

(١٤) عروس الأفراح — شروح ٣٠٦/٢ .

المستفهم ، ويكون قوله تعالى : « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله »[١٥] حقيقة • لأن المطلوب به أن يقر بذلك فى هذا المشهد العظيم تكذيبا للنصارى •

ثم يحصل كل ما قاله فى عبارة موجزة قائلا : « فحاصله : تكمل المحافظة على معنى الاستفهام ، مع معنى آخر بمعاونة القرائن اللفظية أو الحالية »[١٦] •

ومن قال بمستتبعات التراكيب عبد الحكيم السيالكوتى ، فقد ذكر ثلاثة آراء فى أساليب الانشاء عندما يراد بها غير معناها الحقيقى ، وذلك فى أول حديثه عن هذه المعانى فى الاستفهام ، وعبارته : « التحقيق : أنه قد يراد منها تلك المعانى بطريق المجاز ، وقد يراد بطريق الكناية ، وقد يراد بطريق أنها من مستتبعات الكلام »[١٧] •

هكذا بدون ترجيح لأحدها • أو ربط بالمقام •

القول بالكناية :

يعد القول بالكناية أحد قولين ذكرهما عبد الحكيم — رحمه الله — فى النص السابق •

لكن الذى أكثر القول به الشيخ الدسوقى — رحمه الله — ورجحه • فهو يتجه مرة بالأمثلة الى المجاز ، ومرة الى الكناية ، ومرة الى مستتبعات التراكيب ، وكثيرا ما يكون ذلك فى المثال الواحد •

---

(١٥) سورة المائدة ١١٦ .

(١٦) عروس الافراح — شروح ٣٠٨/٢ .

(١٧) عبد الحكيم على المطول — فيض الفتاح للشربينى مطبعة عباس ٢٧٨/٣ .

فعند حديثه عن الاستفهام فى قول الله جل وعـلا حكاية لما قاله سليمان : « مالى لا أرى الهدهد »[١٨] يحصل ما أطال ذكره من بيـان وشرح قائلا : « وحاصل ما فى المقام ، أن عدم الرؤية قد يكون لحائل فى جانب الرائى ، وقد يكون لحائل فى جانب المرئى ، فقوله : مالى لا أرى الهدهد ، ان كان استفهاما عن حائل فى جانب الرائى يوجب عدم الرؤية ، فلا يمكن حمل الاستفهام على حقيقته ، اذ لا معنى للاستفهام عن حال نفسه ، فهو مجاز عن التعجب ، وان كان استفهاما عن حائل فى جانب المرئى يوجب عدم الرؤية ، كالساتر فيجوز أن يكون الاستفهام على حقيقته ، فان قصد به التعجب ، وجعـل ارادة المعنى الحقيقى لمجرد الانتقال كان كناية ، وان قصد به المعنى الحقيقى مع التعجب كان من مستتبعات الكلام »[١٩] .

وفى مثال التنبيه على ضلال « فأين تذهبون »[٢٠] يذكر الاحتمالات الثلاثة ، مستدلا بما ذكره السيد لاعتباره مجازا ، وما ذكره عبد الحكيم فى الاحتمـالين الآخرين : الكنـاية ومستتبعات التراكيب . يقـول : « الاستفهام عن ذلك يستلزم توجيه ذهنه اليه ، المستلزم للتنبيه على كونه ضلالا ، قال السيد : فاستعمال صيغة الاستفهام فى التنبيه المذكور من استعمال اسم اللزوم فى اللازم . قال عبد الحكيم : ولك أن تجعل اللفظ مستعملا فى الاستفهام ليتوصل به الى التنبيه على طريق الكناية ،

---

(١٨) سورة النمل ٢٠ .

(١٩) حاشية الدسوقى على المختصر — شروح ٢/٢٩٢ .

(٢٠) سورة التكوير ٢٦ .

أو يجعل اللفظ مستعملا فى الاستفهام مع التنبيه على أنه من مستتبعات الكلام ، وكذا يقال فيما يجىء بعد »[٢١] .

هكذا نراه يعمم تطبيق هذه الاحتمالات فيما يعرض من شواهد . وفى شاهد التهكم « أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ... »[٢٢] يقول : « الاستفهام عن الشىء يقتضى الجهل به ، والجهل يقتضى الجهل بفائدته ، والجهل بفائدته يقتضى الاستخفاف به ، وهو ينشأ عنه الهزء ، فهو مجاز مرسل علاقته اللزوم ، كذا قيل . والأحسن أن يكون استعمال أداة الاستفهام فى التهكم من باب الكناية ، أو يجعل التهكم من مستتبعات الكلام ... ويقول فى مثال التحقير (من هذا ؟) الاستفهام عن الشىء يقتضى الجهل به ، وهو يقتضى عدم الاعتناء به ، لأن الشىء المجهول غير ملتفت اليه ، وعدم الاعتناء بالشىء يقتضى استحقاره ، فاستعمال الاستفهام فى التحقير : اما مجاز مرسل على ما قيل ، أو أنه كناية ، وهو أولى أو أنه من مستتبعات الكلام »[٢٣] .

واضح من هذه النصوص ذكره فى الشاهد الواحد الاحتمالات الثلاثة ، وواضح — أيضا — أن كلامه صريح فى ترجيحه جانب اعتبار الكناية ، لكن دون أن يبين لنا سبب هذا الترجيح .

الخطوة الثالثة :

وتتمثل فى الجهود التى بذلت حديثا فى تتبع هذه الآراء ، للحكم عليها اثباتا ، أو نفيا ، واختيارا لما هو الأنسب بالأساليب .

---

(٢١) المرجع السابق ، الموضع نفسه .

(٢٢) سورة هود ٨٧ .

(٢٣) حاشية الدسوقى ، شروح ٢/٣٠٤ .

وسأعرض هنا رؤية اثنين من شيوخنا لهما ركانة فى الدراسات البلاغية ، وتحقيق القول فى مسائلها •

الأول : صاحب (المجاز فى اللغة وفى القرآن الكريم) فقد قام بعرض الآراء المختلفة التى قيلت فى أساليب الانشاء التى يفهم منها غير معانيها الحقيقية ، فى اطار حديثه عن الاستفهام •

وقد ذهب الى أن السبيل الذى استفيدت منه هذه المعانى هو سبيل المجاز المرسل ، رافضا القول بأنها من طريق الكناية ، أو من طريق الدلالة الاستتباعية ، مستندا فى هذا الاختيار الى اليسر والوضوح •

وذلك « بأن يقال : أطلق الاستفهام من معناه الذى يفهم منه بدلالة الوضع ، ثم أريد منه كذا • ولا نقتصر بهذا القول على خروج الاستفهام وحده ، بل تدخل معه الصيغ الانشائية الأخرى التى أجمع العلماء على استعمالها أحيانا فى غير معانيها المتبادرة الى الفهم بدلالة الوضع • وبناء عليه نقول :

— ان أنسب المذاهب فى هذه الخروجات أن تنسب الى المجاز •

— وأن أقيس طريقة فيها أن تندرج تحت المجاز المرسل •

— وأن أوضح علاقة فيها هى الاطلاق والتقييد ، مع حاجة هذه العلاقة الى تقرير الوسائط المنصوص عليها عند الشروح حين يراد تقريرها وايضاحها لا دائما[٢٤] •

---

(٢٤) واضح أن تقرير الوسائط يرجع الى اعتبار العلاقة اللزوم ، سواء قرب التلازم أم كان بعيدا بوسائط . وهو يختلف عن اعتبار العلاقة الاطلاق والتقييد فثمة اعتباران عند النظر الى العلاقة ، وهذا جدير بالملاحظة .

ثم يختم حديثه بقوله : ولهذا نتمسك فى اصرار بأنه مجاز ، وهذا هو الصواب »[٢٥] .

وهكذا بأسلوب القصر . فليس غير ذلك صوابا .

الآخر : صاحب دلالات التراكيب . فقد رأى — من قبل — عدم القطع بأن أساليب الانشاء فيما يفاد بها من معان أخرى مجاز فى هذه المعانى .

وعبارته « ليس من المحقق عندنا أن نطلق على هذه الصور هذه التسمية الشائعة (المعانى المجازية) لأننا لم نقتنع بأنها فى هذه المعانى مجاز ، لبقاء الاستفهام قويا وراء كل معنى من هذه المعانى ، على حد ما سنبين . حتى ان مزية أداء هذه المعانى بطريق الاستفهام على أدائها بطرقها المعهودة لا يرجع الا الى بقاء معنى الاستفهام فى هذه الأدوات »[٢٦] .

وقد أشار فى دراسة أخرى الى أن الوجوه التى ذكرت غائمة . مما دفع بالبلاغيين الى التردد فيها . وعدم وصولهم الى شىء يقتنعون به .

قال : « وأحسب أنهم أنفسهم غير مقتنعين به ولا متقبلين له (أى القول بالمجاز) وقد ذكر العلامة عبد الحكيم وجوها من الاحتمالات قد يكون أحدها أقرب من غيره ، أو أقل اغرابا منه . قال عبد الحكيم : انه قد يراد منها تلك المعانى بطريق الكناية ، وقد تراد بطريق أنها من

---

(٢٥) المجاز فى اللغة والقرآن للدكتور عبد العظيم المطعنى ١/٤٢٥ وما بعدها .

(٢٦) دلالات التراكيب للدكتور محمد أبى موسى ٢٢٧ أولى — دار المعلم للطباعة .

مستتبعات التراكيب ، كما تراد بطريق المجاز • وهذا التردد دليل على غموض وجه هذه الدلالة ، وعلى عدم اقتناعه بواحدة منها »[٢٧] •

اذا — أستاذنا لا يقطع بالمجاز نظرا لما فى مختلف الشواهد من ايماضات تشى بالاحتمالات المختلفة التى لحظها البلاغيون • لكنه يلتقط ملحظا دقيقا للامام عبد القاهر — رحمه الله — نكاد نجزم بأنه المفتاح الذى نستطيع به الوصول الى تحليل أساليب الانشاء عامة ، والاستفهام خاصة لنصل الى أصول المعانى فى هذه الأساليب ، ثم ما تستتبعه هذه المعانى من معان أخرى وأغراض لهذه الأساليب •

ذلك قوله : « واعلم أنا وان كنا نفسر الاستفهام فى مثل هذا (شواهد الانكار) بالانكار ، فان الذى هو محض المعنى أنه ليتنبه السامع »[٢٨] •

أى أن الذهن بهذا الايقاظ ، وهذا الحضور الواعى — كما يقول أستاذنا — يلتفت الى السياق فيستوعبه بخفاياه ، ودقائق همسه ، وكل حواشيه فيلتقط المراد ••• الاستفهام يهيىء النفس لتتلقى من السياق ما تجيش به من خواطر ومشاعر وصور • هى التى جاشت فى نفس متلقيه »[٢٩] •

نحن — اذا — أمام أساليب وتراكيب لها دلالاتها بألفاظها على عموم المعنى ، أو على محض المعنى فيها •• ثم لهذه الأساليب سياقاتها المختلفة التى قد تنشأ عنها منفردة معان أخرى غير معانى ألفاظها •

---

(٢٧) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى للدكتور محمد ابى موسى ٣٠٢ المعارف .

(٢٨) دلائل الاعجاز ٨١ .

(٢٩) دلالات التراكيب ٢٥٩ .

هذه الدلالة بوجهيها اللفظى والسياقى فى أساليب الانشاء هى ما نطلب تجليته بعد هذه الفكرة الموجزة عن رؤية البلاغيين — السابق منهم واللاحق — لأساليب الانشاء ودلالاتها المختلفة • واضعين فى الاعتبار خطورة التعميم فى الأحكام ان لم تقم على تتبع الخصوصيات الموجودة فى جميع الشواهد التى تشملها هذه الأحكام •

لذلك ، فأنا لست راضيا بمسلك المغربى — مع ماله من جهد مشكور فى باب الانشاء — بتعميمه القول بالمجاز فى جميع شواهد الانشاء التى تفهم منها معان أخرى غير معانيها الحقيقية •

وأرى أن مسلك السعد ومن حذا حذوه فى التحوط عند تحديد طرائق هذه الأساليب — أكثر دقة عند تحرير المسائل ويحسب لهم لا عليهم ، بل لا ينبغى أن يعد ذلك اهمالا منهم أو تخوفا •• كما قيل : من أن « هذا التخوف من السعد أو التحفظ مع اهمال سابقيه فى تحديد نوع هذا المجاز جعلنا نتتبع فى شوق لمعرفة الشجاع الذى اخترق الحواجز ، واقتحم الحمى المضروب حول هذه الدرة »(٣٠) •

فقد تبين لنا ما كان من مخاطر هذا الاقتحام ، وكونه اقتحاما غير محسوب •

— ٢ —

أين — اذا — نضع أساليب الانشاء المقصود بها غير معانيها الحقيقية ؟ هل هى معان مجازية ، أم كنائية ، أم استتباعية ؟ •

ولدقة الاجابة على هذه التساؤلات ينبغى أن نؤكد على أمرين :

---

(٣٠) المجاز فى اللغة والقرآن الكريم ١/٤١٧ •

الأمر الأول : أنه يتعين أن يكون بيان طريق القصد الى هذه المعانى واضحا وقاطعا ، بعيدا عن دعوى الاحتمالات المتعددة فى الشواهد التى نذكرها ــ كما رأينا سلفا ــ فى النقول التى أتينا بها عن عبد الحكيم والدسوقى رحمهما الله ــ ذلك لأن الأسلوب ــ أى أسلوب كان ــ له قرائنه السياقية والمقامية التى تعين طريق المعنى فيه ، والمقصود الرئيس منه ، وتمنع الاحتمالات المتعددة فيه ، وللعصام ــ رحمه الله ــ المقال الفصل فى ذلك • يقول : « اللفظ لا يكون محتملا المجاز والكناية ، لأنه ان وجدت القرينة المانعة عن ارادة الحقيقة فمجاز بلا شبهة ، والا فكناية »(٣١) أى أن بذل الجهد فى التعرف على المعنى وقرائنه يمنع الاحتمال •

الأمر الآخر : أنه من المهم أن نضع أمامنا الأحكام والمفاهيم الآتية لتكون المعيار الذى نزن به الأساليب ونحدد طريق القصد الى معانيها ، دون ترديد بين الاحتمالات المختلفة ، وهى ما يأتى :

١ ــ الألفاظ عند استعمالها فى معانيها الوضعية الصرفة حقائق(٣٢) •

٢ ــ الألفاظ اذا استعملت فى غير معناها مع قرينة مانعة منه ، فهى مجاز •

٣ ــ الألفاظ اذا استعملت فى غير معناها مع قرينة غير مانعة • فهى كناية •

---

(٣١) الأطول للعصام الاسفرائينى ١/٢٥٢ عروس أزهر .

(٣٢) المراد الحقيقة الخالصة التى يراد فيها المعنى الحقيقى لذاته ، لا ليكون وسيلة الى غيره كما فى التعريض .

هذه الدلالات الثلاث على المعانى الحقيقية ، والمجازية ، والكنائية ، دلالات لفظية ، فهمت باللفظ على سبيل التحقيق أو التأويل ..

٤ ــ وثمة دلالة أخرى ، قد تكون مع المعنى الوضعى (التحقيقى أو التأويلى) للفظ .

بأن تدل الألفاظ على معانيها .. ثم يفهم عن طريق السياق[٣٣] معنى آخر خلاف المعنى الحقيقى ، والمجازى ، والكنائى ، وهو ما يعنيه البلاغيون بمستتبعات التراكيب .

والتى « هى دلالة الكلام على معنى دلالة صحيحة ، من غير أن يكون حقيقة فى ذلك المعنى ، ولا مجازا ، ولا كناية ، بدون استعماله فيه . فخروجه عن الثلاثة معقول ، وتكون الدلالة بعرض اللفظ وجانبه ، لا به . أى بما معه من المعنى الحقيقى المستلزم[٣٤] للمراد بقرينة المقام وفحوى المقال والسياق . لا به . فهو من قبيل التلويح والاشارة بنفس العبارة الى معنى هو من قبيل مستتبعات التراكيب »[٣٥] .

فالمعنى فى الدلالات الاستتباعية من عرض اللفظ ، والمعنى الحقيقى وان كان مقصودا معه الا أن قصده ليس بالذات ، وانما بغرض التوسل به واستتباعه المعنى المراد .

---

(٣٣) السياق ذكر اللفظ والتكلم به فى المقام المخصوص . الانبابى على الرسالة البيانية ١٦٤ .

(٣٤) الحقيقى هنا شامل للمعانى المجازية والكنائية ، لتنزيلها منزلة المعنى الحقيقى من حيث قصدها من اللفظ واستعماله فيها ــ وكذلك ليس المراد بالاستلزام وجود لزوم بين المعنيين الذى هو علاقة وواسطة فى المجاز والكناية . وانما المراد تولد معنى من المقام والسياق عن اللفظ لا به .

(٣٥) ذكره الانبابى على البيانية عن معاوية ١٦٦ .

وتحقيق القول فى بيان الفرق بين هذه الطرق الأربعة ما قاله صاحب الكشف من « أن اللفظ المستعمل فيما وضع له فقط هو الحقيقة المجردة ، ويقابله المجاز ، لأنه المستعمل فى غير الموضوع له فقط ، والكناية اللفظ المستعمل بالأصالة فيما لم يوضع له ، والموضوع له مراد تبعا • وفى التعريض هما مقصودان ، الموضوع له من نفس اللفظ حقيقة ، أو مجازا ، أو كناية ، والمعرض به من السياق »[٣٦] •

فالمعانى الاستتباعية التعريضية تجامع كلا من الحقيقة والمجاز والكناية ، بأن يكون اللفظ مقصودا استعماله فى معناه الحقيقى أو المجازى أو الكنائى قطعا ، ويدل بمعناه فيها على معنى آخر من عرض اللفظ بدلالة السياق والمقام • كما أن اللفظ بالنسبة لما فهم منه لا يسمى حقيقة ، ولا مجازا ، ولا كناية[٣٧] •

والكناية والتعريض كما يتفقان معا فى ارادة المعنى الأصلى ، بأصالة القصد اليه فى التعريض ، وجوازه فى الكناية قد يمتنع المعنى فيهما لخصوص المادة ، وليس باعتبارهما كناية وتعريضا •

ففى الكناية قد يكون المعنى الحقيقى مستحيلا فى بعض صورها ، كما فى قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى »[٣٨] وقوله تعالى : « بل يداه مبسوطتان »[٣٩] كناية عن الملك ، وعن الجود ، فالمعنى الحقيقى فيهما وهو الجلوس ، واليد بمعنى الجارحة مستحيل عليه تعالى •

---

(٣٦) عن السيد فى حاشيته على المطول ٤١٣ •

(٣٧) تنظر حاشية السيد على المطول ٤١٤ والانبابى على البيانية ١٦٦ وما بعدها •

(٣٨) سورة طه ٥ •

فالمثالان مع أن المعنى الحقيقى فيهما مستحيل ـ كنايتان .

والتعريض ـ أيضا ـ قد لا ينظر فيه الى المعنى الحقيقى لصيرورته مستحيلا وينفرد المعنى المعرض به بأصالة القصد دون غيره . كما فى قوله تعالى : « ولا تكونوا أول كافر به »(٤٠) ففى الآية تعريض بأنه كان ينبغى عليهم المسارعة الى الايمان ليكونوا أول المؤمنين . والمعنى الأصلى وهو النهى عن الكفر مسارعين اليه غير واقع لصيرورته مستحيلا لكون الخطاب لقوم كفروا فعلا وسبقوا غيرهم اليه(٤١) .

بهذه المفاهيم والأسس التى قدمناها نستطيع ، وفى ضوئها ، أن نزيل من غموض حول أساليب الانشاء ، وأن نجلى ما نرتضيه لشواهد هذا الباب برفق وأناة .

قولنا بالمعانى الاستتباعية :

الذى نرتضيه ونقول به : أن افادة أساليب الانشاء الطلبى معان غير معانيها الحقيقية انما هى من طريق مستتبعات التراكيب . وليست هذه المعانى من باب المجاز ، ودليلنا على ذلك ما يأتى :

أولا : اننا بالتتبع لشواهد هذا الباب نلحظ بوضوح فى كثير منها بقاء معانيها الحقيقية ـ كما سيتضح لنا بعد ـ وهذا دليل كاف للقطع بعدم مجازية هذه الأساليب . لأن « المجاز ملزوم قرينة معاندة لارادة الحقيقة »(٤٢) كما لا يمكن القول بأنها كناية ، لأن كثيرا من شواهدها يكون المعنى الحقيقى مقصودا أصالة لا تبعا ، والكناية بخلاف ذلك .

---

(٣٩) سورة المائدة ٦٤ .

(٤٠) سورة البقرة ٤١ .

(٤١) تنظر حاشية السيد ٤١٤ وما بعدها والرسالة البيانية ١٦٨ .

(٤٢) المطول ٤٠٧ .

أما ما يكون من شـــواهد لا يكون المعنى الحقيقى فيها موجودا ، فبالرجوع اليها نجد أن الامتناع لأمر آخر خارج عن قصـــد التجوز ، وسابق عليه •

كما أنه قد تقرر امكان وجود المعانى الاستتباعيـــة والتى تفهم من عرض اللفظ لا به مع كون معنى اللفظ مستحيلا • ويسمى التعريض الذى يمكن فيه المعنيان تعريضا على سبيل الكناية ، وليس كناية وما لا يمكن فيـــه ارادة المعنى الحقيقى يسمى تعريضا على سبيل المجاز وليس مجازا[٤٣] •

ثانيـــا : وبهذا التتبع نلحظ ـــ أيضا ـــ أن العـــلاقات التى ذكروها للمجاز الذى قالوا به علاقات غائمة ، يدل على ذلك ما رأيناه فى مســـلك الجيـــل الأول من البلاغيـــين من تركهم تحديد طريق الدلالة فى هـــذه الأساليب ورأيناهم لم يبنـــوا على هذه العلاقات مجازا كما كان عنـــد أصحاب الشروح •

وإن كان العلامة السيد ـــ رحمه الله ـــ حاول جاهدا ترجية ما يمكن أن يوضح وجه المجاز فى الأمثلة التى ذكرها الخطيب ـــ ان كان فعل ذلك فظنى أن الذين نظروا اليها لم يجدوا فيها ما يرضيهم لاعتبـــار الأمثلة من المجاز المرسل كما قال أصحاب الشروح •

وحسبنا مثـــالا ودليلا على ذلك ما نجده من غموض فى التجـــوز بالاستفهام عن التقرير مرة ، وعن الانكار أخرى ، فان العلاقة فيه باهتة لا تتضح •

---

(٤٣) تنظر حاشية السيد على المطول ٤١٤ والبيانية ١٦٨ والتعريض فى القرآن الكريم للدكتور الخولى ١/٦٧ .

اذ كيف تقوم علاقة بين الاستفهام وبين أمرين متضادين : بين تقرير له معنيان : تحقيق وتثبت ، او اقرار بما هو ثابت ، وبين انكار أحد معنييه نفى ، عندما يكون للتكذيب ؟ •

وكذلك نجد شيئا من الاضطراب عند بيان السيد — رحمه الله — كيفية علاقة الاستفهام للانكار • فهو يقول : « انكار الشيء بمعنى كراهته والنفرة عن وقوعه فى أحد الأزمنة ، وادعاء انه مما ينبغى ألا يقع فيه • يستلزم عدم توجه الذهن اليه ، المستدعى للجهل به ، المفضى الى الاستفهام عنه ، أو نقول : الاستفهام عنه يستلزم الجهل به ، المستلزم لعدم توجه الذهن اليه ، المناسب لكراهته والنفرة عنه ، وادعاء أنه مما لا ينبغى أن يكون واقعا وقس على هذا حال الانكار بمعنى التكذيب »(٤٤) •

ودعوانا الاضطراب قائمة على أن كراهة الشيء والنفرة منه لا تستلزم الجهل به ، المفضى الى الاستفهام ، حتى ولو كثرت الوسائط بينهما • لأن كراهة الشيء والنفرة منه قائمة على العلم به ودليل على وجوده فى الذهن ، فكيف تستلزم الجهل به ؟

وانتقاله الى عبارته الثانية فى بيان العلاقة دليل قاطع على غموضها فى الذهن • وهو غموض يصعب علينا ارجاعه الى البعد الذى يكون فى المجازات الغريبة ، التى تتأبى على الذهن بادىء الأمر ، ثم تنجلى باعمال الذهن لادراك خفاياها ومزاياها • وانما هو غموض يعقد دلالة الأساليب •

يرى العلامة السيد استلزام الاستفهام الجهل بالمستفهم عنه ، وهذا صحيح • لكن كيف يستلزم الاستفهام عن الشيء من العالم به •

---

(٤٤) حاشية السيد على المطول ٢٣٨ .

والشأن كذلك فى المثـــال ــ الجهل به ؟ ثم كيف يستلزم الاستفهام عن الشىء عدم توجه الذهن اليه ؟ والحال أن السائل والمسئول ــ فى أمثلة هذا الضرب ــ يعلمان المسئول عنه ؟ وهل ما لا يتوجه الذهن اليه تنفر النفس عنه عادة ؟ •

ان هذه التســـاؤلات ناشئة عن افتراض علاقات باهتة ، يصعب التســـليم بها الا بتأويلات لاقامة المناســـبة بين المعنيين تكون أشـــد غموضا !! •

ناهيك عن قياس العلاقة فى الانكار التكذيبى على الانكار التوبيخى ، بما فيه من اختلاف المآل ــ كما قلت ــ عن مآل الاستفهام التقريرى • لأن فيـــه نفى ، وفى التقرير اثبات ، فاللازمان مختلفان مع أن المدخل اليهما واحد ، وهو الاستفهام •

ثالثا : من المعلوم أن المصحح للاستعمال المجازى وجود ارتباط بين المعنيين : المنقول عنه اللفظ والمنقول اليه ، وهو ما نسميه بالعلاقة المجوزة للتصرف فى طريق الدلالة • فهى تقتضى طرفين : الأول المنقول عنه اللفظ المعلوم بأصل الوضع اللغوى ، والآخر ، المنقول اليه ، المعلوم بواسطة القرينـــة التى من شأنها أن تفصح عن المراد ، بحيث نستطيع أن نشير اليه ونقول ها هو ذا مقصودنا بالاطلاق المجازى ، والذى صار اللفظ موضوعا له وضعا تأويليا •

اذا كان الأمر كذلك ، فان ما نلحظه فى أســـاليب الانشاء المفاد بها غـــير معناها الحقيقى شىء آخر مختلف • اذ كثيرا ما تذكر عـــدة معان لمدلولاتها ، دون أن يحدد المراد تحديدا واضحا ، بحيث نستطيع أن نقول ان هذا الأســـلوب مجاز فى كذا • ونلحظ ذلك جليـــا فى عطاءات القرآن الكريم عند تدبره •

يذكر الامام عبد القاهر — رحمه الله — عدة شواهد للاستفهام التقريرى منها قوله تعالى : « أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم »(٤٥) .. ثم يقول : « واعلم أن الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان ، وانكار له لم كان ، وتوبيخ لفاعله عليه »(٤٦) .

ومنشأ هذه المعانى المتعددة المتداعية « أننا لا نستطيع فى كثير من الصور ضبط معنى الاستفهام فى شىء محدد (لهذا) نلجأ الى ذكر جملة معان حول الاستفهام الواحد ، فنقول مثلا فى قوله تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا »(٤٧) انه انكار ، وتوبيخ ، وعتاب ، وتعجب . وهذا التعدد دليل على ما نريد أن نؤكده من أن المعنى الذى يفيده الاستفهام خفى وسانح ومتفلت ، وأننا نحاول السيطرة عليه بمثل هذه الأوصاف الكثيرة الناقصة ، التى نتوهم أنها تحيط به ، ولكنها لا تستخرج منه الا بعض اشاراته ، أو لا تصف منه الا بعض ما يظهر ، ونرى ذلك كثيرا فى الأساليب الثرية والسياقات الحية »(٤٨) .

هذه السعة فى الدلالة تمكننا من القول : بأن أساليب الانشاء التى من هذا الباب انما أفادت معانيها على سبيل الاستتباع ، وليس على سبيل الحقيقة ، أو المجاز ، أو الكناية . لأن طبيعة المعانى الاستتباعية الخفاء والسعة فى الدلالة(٤٩) .

---

(٤٥) سورة الأنبياء ٦٢ .
(٤٦) دلائل الاعجاز ٧٨ .
(٤٧) سورة العنكبوت ٢ .
(٤٨) دلالات التراكيب ٢٢٩ .
(٤٩) ينظر التعريض فى القرآن الكريم ١/٢ .

=

قد يكون باستطاعتنا — الآن — تأسيسا على ما سبق من أدلة أن نكرر القول : بأن المعانى التى تفهم عن أساليب الانشاء معان استتباعية ، لأنها فهمت عن اللفظ ، وليس اللفظ فيها حقيقة ، أو مجازا ، أو كناية .

أما هذه الأساليب بالنسبة الى معانيها الوضعية التى اصطلح عليها أهل العربية ، كقولهم عن حقيقة الاستفهام : هو طلب ما فى الخارج أن يحصل فى الذهن من تصور أو تصديق ، موجب أو منفى(٥٠) .

فانها بالنظر الى ذلك ضربان :

ضرب : تبقى فيه معانى الأساليب الحقيقية التى تعارفوا عليها .

وضرب : لا تبقى فيه هذه المعانى بدلالة القرائن .

وفى اطار هذين الضربين سنتتبع شواهد الانشـــاء الطلبى التى ذكرها أصحاب الشروح فى مباحثه الخمسة فيما يلى :

=

حيث تتبعنا معانى كلمة التعريض اللغوية نجدها تدور بين معان هى من صميم التعريض الاصطلاحى منها : السعة . فتعريض الشىء توسيعه .. وقال تعالى : « فذو دعاء عريض » فصلت ٥١ — وفى حديث أحد للمنهزمين « لقد ذهبتم فيها عريضة » أى واسعة .

ومنها : الخفاء . لأن التعريض خلاف التصريح ... والظهور من بعد . ومنها : معنى الخفة مما يسرع بتوليه وتفلته . كالعرض الذى هو وصف قائم بالغير ، والطمع والرغبة . وعروض الكلام . فحواه ومعناه .. ينظر لسان العرب ٢٨٨٤ المعارف .

(٥٠) المصباح ص ٨٣ بدر الدين بن مالك ق د. حسنى عبد الجليل — الآداب ومطبعتها ص ٨٣ .

الضرب الأول :

وأمثلة هذا الضرب تكون معانيها الحقيقية موجودة ، ومقصـــودة أصالة ، ثم يفهم عن هذه المعانى بطريق الفحوى والسياق المعانى التى قيل انها معان مجازية .

أسلوب الاستفهام :

قال الخطيب : « ثم ان هذه الكلمات ـ الاستفهامية ـ كثيرا ما تستعمل فى غير الاستفهام ، كالاستبطاء ، نحو : كم دعوتك ؟ والتعجب ، نحو : مالى لا أرى الهدهد ؟ والتنبيه على الضلال نحو : فأين تذهبون . والتقرير »(٥١) .

هذه المعانى التى لم يبين الخطيب طريق الافادة لها تلقفها أصحاب الشروح وقالوا انها معان مجازية . على أننا لو أنعمنا النظر فيها لوجدنا المعانى الحقيقية موجودة . ثم تفهم عنها هذه المعانى بطريق الفحوى والسياق . وليس بها عن طريق المجاز . وفيما يلى رؤيتنا لهذه المعانى وشواهدها .

١ ـ الاستبطاء : ومثاله المذكور معنا قول القائل : كم دعوتك ؟ وقد قالوا : ان السؤال هنا ليس على حقيقته وهى طلب الفهم ، فصار بعلاقة اللزوم مجازا مرسلا فى معنى الاستبطاء .

لكن بالتأمل سنلحظ وجود المعنى الحقيقى لأن مقام السؤال يطلب أمرين : معرفة عدد الدعاء لكثرته وعدم اجابة المدعو ثم ان هذه الكثرة تثير فى النفس استبطاءه فالمعنيان موجودان . وممن قال بذلك البهـــاء السبكى قال : « ان الاستبطاء فى قولك : كم دعوتك معناه : أن الدعاء

---

(٥١) تلخيص المفتاح ـ شروح ٢/ ٢٩٠ وما بعدها .

قد وصل الى حد لا أعلم عدده ، فأنا أطلب أن أفهم عدده • والعـادة تقضى بأن الشخص انما يستفهم عن عدد ما صدر منه ، اذا كثر فلم يعلمه ، وفى طلب فهم عدده ما يشعر بالاستبطاء »(٥٢) •

معنا — اذا — معنى حقيقى ، ومعنى استتباعى مفهـوم بدلالة المقام •

ومن شواهد هذا المعنى قول الله تعالى حكاية لما يقول الرسـل والمؤمنون بهم : « حتى يقول الرسول والذين آمنوا معـه متى نصر الله »(٥٣) فان المعنى الحقيقى موجود ، وهو طلب معرفة الوقت الذى يتحقق فيه النصر ، ولو بشواهده وأماراته ، واستتبع ذلك استبطاءهم للنصر • وفى تفسير العلماء للآية ما يدل على المعنيين •

قال أبو حيان : « قيل ذلك على سبيل الدعاء لله تعالى ، والاستعلام اوقت النصر ، فأجابهم الله تعالى ، فقـال : ألا ان نصر الله قريب • وقيل ذلك على سبيل الاستبطاء ، اذ ما حصل لهم من الشدة والابتـلاء والزلزال هو الغاية القصوى »(٥٤) وهذان المعنيان هما المعنى الحقيقى والمعنى الاستتباعى •

٢ — التعجب : ومثاله فى التلخيص قول الله تعالى حكاية لما قاله سليمان عليه السلام : « مالى لا أرى الهدهد »(٥٥) فالتعجب فى الآية الكريمة لا يستأثر بالمعنى • لأن سليمان عليه السلام يسأل عن ذلك فعلا ويتعجب •

---

(٥٢) عروس الأفراح — شروح ٢/٣٠٦ .
(٥٣) سورة البقرة ٢١٤ .
(٥٤) البحر المحيط لأبى حيان ٢/١٤٠ دار الفكر .
(٥٥) سورة النمل ٢٠ .

ولا يقال : ان الانسان أعرف بحال نفسه غالبا ، فلا يستفهم عنها ، فيتعين حمل الاستفهام على خلاف ظاهره • لأنا نقول : ان عدم السؤال عن أحوال النفس انما يكون عن الأحوال التى لا تخفى على صاحبها • كالقيام والقعود والجوع والعطش • « وأما الأحوال المنفصلة أو ما فى حكمها فيجوز أن يستفهم الانسان عنها • كأن يقول : ما بالى أوذى دون سائر المسلمين ؟ أى ما السبب الذى صار متعلقا بى ، وحالا من أحوالى ، فأوجب اذايتى ؟ »(٥٦) •

وكلام الزمخشرى يدل على أنه قد حمل الكلام على الاستفهام حقيقة استدلالا منه ببناء الكلام على التردد بين امتناع الرؤية لساتر وبين الغيبة • وعبارته « مالى لا أرى : على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك • ثم لاح له أنه غائب • فأضرب عن ذلك ، وأخذ يقول : أهو غائب ؟ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له • ونحوه : انها لابل أم شاء »(٥٧) •

واضح أن الأسلوب حقيقة استتبعت معنى التعجب ، وليس ثمة تعارض بين المعنيين لأن المعنى الأول من طريق اللفظ والمعنى الثانى عن طريق السياق والفحوى •

٣ — التنبيه على ضلال • ومثاله قول القائل لمن يسير على غير هدى : أين تذهب ؟

فان المراد بالاستفهام حقيقته • لأنه لا يتصور التنبيه على ضلال الا بعد معرفة المسئول عنه • فالسؤال لمعرفة مسلكه ، وتنبيهه على ضلاله •

---

(٥٦) مواهب الفتاح — شروح ٢/٢٩٢ .

(٥٧) الكشاف ٣/١٤٢ .

وللسبكى فى المثال كلام دقيق ، وتعليل قاطع بكون السؤال حقيقة • قال : « التنبيه على الضلال فى نحو قول الانسان : أين تذهب ؟ مريدا التنبيه على الضلال • فالاستفهام فيه حقيقى • لأنه يقول : أخبرنى الى أى مكان تذهب فانى لا أعرف ذلك • وغاية الضلال لا يشعر بها الى أن تنتهى »(٥٨) •

وفى بعض الوجوه التى ذكرها عبد الحكيم فى هذا الشاهد يجعل الاستفهام على حقيقته مع كونه من مستتبعات التراكيب • قال : « ولك أن تجعل اللفظ مستعملا فى الاستفهام ليتوصل به الى التنبيه على طريق الكناية • أو يجعل اللفظ مستعملا فى الاستفهام مع التنبيه على أنه من مستتبعات الكلام »(٥٩) •

هذا كلامه • وان كنا لا نوافقه الا على القول بأن التنبيه على ضلال من مستتبعات الكلام ، سواء كان الاستفهام على حقيقته كما ذهب اليه السبكى ، ونرتضيه معه ، أم كان الاستفهام غير حقيقى لوجود قرائن دالة على عدم تحقق طلب الفهم • كما فى قوله تعالى : « فأين تذهبون » فالاستفهام فى الآية مستحيل حقيقة على الله تعالى ، وهو من شواهد الضرب الثانى ••

٤ — التقرير : يذهب أصحاب الشروح الى اعتبار دلالة أساليب الاستفهام المراد بها التقرير دلالة مجازية ، اعتمادا على قرينة استحالة المعنى الحقيقى للسؤال ، لكون السائل المقرر مسئوله عالما بالمسئول عنه(٦٠) •

---

(٥٨) عروس الأفراح — شروح ٣٠٧/٢ .

(٥٩) عن حاشية الدسوقى على المختصر — شروح ٢٩٣/٢ .

(٦٠) ينظر شروح التلخيص ٢٩٤/٢ وما بعدها .

لكن بالتأمل فى شواهد هذا النوع نجد التقرير فى أحد اطلاقيه المراد منه حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه ، والجاؤه اليه ، لا يتعين فيه كون السائل عالما بالمقرر به •

من ذلك قوله تعالى حكاية لقول قوم ابراهيم له عليه السلام : « أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم » فقوم ابراهيم لم يكونوا — وان توافرت بعض الأمارات — عالمين علما يقينيا[٦١] أن ابراهيم هو الذى كسر الأصنام • اذ لا يتعدى ما عندهم الظن المبنى على توعده بكيدهم ، وما حكاه بعضهم عن سماع ذكر ابراهيم لها • فهم لم يصلوا الى الحقيقة البينة • فهم جاهلون وهم سائلون ليعلموا من اقرار ابراهيم عليه السلام لهم •

وكلام الامام عبد القاهر عن الاستفهام فى الآية واضح الدلالة على ما نذهب اليه • قال : « لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقر بأنه منه كان • وقد أشاروا له الى الفعل فى قولهم : أأنت فعلت هذا • وقال هو عليه السلام فى الجواب : بل فعله كبيرهم هذا • ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أو لم أفعل[٦٢] •

فاستدلال الشيخ على أن التقرير فى الآية بالفاعل ، لكون الفعل محقق الوقوع ، استدلالا منه بالاشارة فى قولهم (هذا) وقوله عليه السلام فى الجواب (بل فعله كبيرهم) — دليل على صحة قولنا : بأنهم لم يكونوا موقنين بأنه عليه السلام هو الفاعل • وأن الاستفهام فى الآية استفهام حقيقى يستتبع الجواب والتقرير •

---

(٦١) اليقين لا يكون الا عن مشاهدة أو شهادة أو اقرار من صادق •

(٦٢) دلائل الاعجاز ٧٨ •

وقد أورد الخطيب نظرا فى كلام عبد القاهر ومن تبعه فى هذا الموضع يستفاد منه كون الهمزة على أصلها ، والاستفهام حقيقيا ، لكون السياق لا يدل على أنهم كانوا عالمين ، فلا يكون الاستفهام للتقرير[٦٣] .

ونحن نلتقى معه فى كون الاستفهام حقيقيا ، لكن لا نوافقه فى نفى التقرير لأنه مفاد الاستفهام بدلالة المقام .

أسلوب الأمر :

ذكر أصحاب الشروح فى أسلوب الأمر معانى عدة على سبيل المجاز . على أننا نرى فى كثير منها المعنى الحقيقى للأمر موجودا ، والذى هو طلب الفعل على سبيل الاستعلاء ، حقيقة أو ادعاء ، وجوبا أو ندبا[٦٤] من هذه المعانى ما يأتى :

١ ــ التعجيز :

ومن شواهده قول الله تعالى : « فأتوا بسورة من مثله »[٦٥] فقد قالوا فيه : ليس المراد طلب اتيانهم بسورة من مثله لكونه محالا . وانما المراد اظهار عجزهم عن الاتيان ، لأنهم اذا حاولوا بعد الأمر ولم يستطيعوا تبين عجزهم .

والذى أراه أن الأمر هنا حقيقة مجاراة لدعواهم القدرة على مثله وقد حكى عنهم القرآن الكريم ذلك . قال تعالى : «أم يقولون افتراه»[٦٦] فالمقام مقام ادعاء القدرة على المجىء بمثله ، فتنزل القرآن على دعواهم .

---

(٦٣) ينظر الايضاح ٨٢ .

(٦٤) ينظر شروح التلخيص ٢/٣١١ وما بعدها .

(٦٥) سورة البقرة ٢٣ .

(٦٦) سورة يونس ٣٨ وهود ١٣ ، ٣٥ والسجدة ٣ والاحقاف ٨ .

اذ كيف يظهر العجز دون طلب الفعل حقيقة • وهل المعاند عندما يسمع الأمر بذلك يعتقد أن الأمر ليس طلبا على سبيل الحقيقة ؟ لو كان كذلك لما كان فيه مدخل لاظهار عجزهم • هذا فضلا عن قولهم لصحة التكليف بالمحال(٦٧) •

ويرى الطبرى أن الأمر فى الآية على حقيقته لأنه أمر بممكن ، قال : « عنى : ائتوا بسورة من مثله فى البيان ، لأن القرآن أنزله الله تعالى بلسان عربى • فكلام العرب لا شك له مثل فى معنى العربية • فأما فى المعنى الذى باين به القرآن سائر كلام المخلوقين فلا مثـــل له من ذلك الوجه ، ولا نظير ، ولا شبيه • وانما احتج الله جل ثناؤه عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم بما احتج له عليهم من القرآن • اذ ظهر عجز القوم عن أن يأتوا بسورة من مثله فى البيان • اذ كان القرآن بيانا مثل بيانهم ، وكلاما نزل بلسانهم »(٦٨) •

وسواء كان الأمر بممكن أم بمستحيل فان الأمر يتبعه ظهور عجزهم الذى هو غرض الآية من أمرهم •

٢ ــ التسخير :

ويمثلون له بقوله تعالى : « كونوا قردة خاسئين »(٦٩) •

وعللوا التجوز فى الآية بأن الأمر بشىء فيـــه مذلة وكون المأثور منقادا يستلزم التسخير(٧٠) •

---

(٦٧) ينظر شروح التلخيص ٣١٤/٢ •

(٦٨) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ١٦٦/١٠ طبعة ثالثة الحلبى •

(٦٩) سورة البقرة ٦٥ •

(٧٠) ينظر شروح التلخيص ٣١٧/٢ •

والحق أن الأمر فى الآية على حقيقته • الذى هو طلب الفعل وهو صيرورتهم بالقدرة قردة • وهذا المعنى موجود فعلا وما دام موجودا فلا نستطيع أن ندعى التجوز به فى معنى التسخير لأن التسخير معنى دل عليه المقام مع بقاء الأمر على حقيقته •

لكن فى الآية مجاز آخر وهو استعمال الفعل الدال على التكوين (كن) فى معنى التبديل من حالة الى أخرى •••

٣ ــ الاهانة :

ومن أمثلة هذا المعنى قوله تعالى : « ذق انك أنت العزيز الكريم »[٧١] •

وليس من شك فى أن الأمر بالذوق على حقيقته ، لأنه مطلوب منه أن يذوق فعلا ، نكالا وتعذيبا • وفى هذا اشارة الى اهانتهم واحتقارهم •

٤ ــ التحقير :

ومثاله قوله تعالى : (ألقوا ما أنتم ملقون)[٧٢] فالمعنى الحقيقى للأمر موجود • لأن موسى عليه السلام أمرهم بذلك استعلاء على سبيل الحقيقة • واستتبع الأمر لهم فى مقام التحدى والمناجزة احتقارهم وما يصنعون •

٥ ــ الاباحة :

ومثلوا له بقول القائل : جالس الحسن أو ابن سيرين • والذى أرتضيه أن فعل الأمر (جالس) مراد به حقيقته من وجوب المجالسة غير المعينة فى واحد • ثم يفهم بقرائن المقام والسياق معنى الاباحة •

---

(٧١) سورة الدخان ٤٩ .

(٧٢) سورة الشعراء ٤٣ .

والذى يفهم من تحقيق المحققين ، أن الصيغة دلت على طلب الجلوس • ولما جاءت (أو) أفادت دوران الأمر بين الاثنين ، ويستفاد من قرائن أخرى ان كان الأمر على التخيير أو الاباحة(٧٣) •

أسلوب النهى :

يقول أصحاب الشروح عند حديثهم عن النهى الذى حقيقته : طلب الكف عن الفعل استعلاء جازما أو غير جازم — فى شواهده التى تفيد معانى خارجة عن دلالتها الوضعية • انها مستعملة فى هذه المعانى على سبيل المجاز(٧٤) مع أن أكثر هذه الشواهد يراد بها المعنى الحقيقى ، وهو ما يتعارض مع كونها مجازا • لأن التجوز يقتضى وجود قرينة دالة على ارادة غير المعنى الحقيقى(٧٥) •

---

(٧٣) ينظر شروح التلخيص ٢/٣١٣ .

(٧٤) المرجع السابق ٢/٣٢٤ ومابعدها .

(٧٥) نقول : ان اللغة تخضع اللفظ لأحد معنييه : الحقيقى أو المجازى ، فيمتنع استعمال اللفظ فى المعنى الحقيقى والمجازى ، لكون الحقيقة توجب الاستغناء عن القرينة ، والمجاز يوجب الاحتياج اليها ، وتنافى اللوازم يدل على تنافى الملزومات . الا أن الأصوليين نازعوا فى عدم ارادة المعنى الحقيقى والمجازى معا قائلين بالجواز ، على أن يكون اللفظ مجازا فى مجموع المعنيين ، وبهذا قال الامام الشافعى رضى الله عنه . وقد ذكر السعد وجوها من الاعتراض على هذا ، وأتبعها بما يمكن أن يجاب به عليها ، وتنتهى المسألة الى عدم اطراد صحة الاعتبار الذى راعاه المجوزون : وهو جعل اللفظ الموضوع للمعنى الحقيقى مستعملا فى مجموع المعنيين ، الذى هو غير موضوع له اللفظ ، باعتبار اسم البعض على الكل — لكون هذا التركيب اعتباريا فى كثير من الصور وليس حقيقيا فى كثير منها ، وهو ما لا يعتد به لعدم ثبوته فى اللغة . تنظر مسألة المنع بالقرينة فى : التلويح للسعد على التوضيح ١/٨٧ وما بعدها ط صبيح — جمع الجوامع لابن السبكى ١ — ٢٥٥ الأزهرية والانبابى على الصبان ١٢٦ وما بعدها — والعلاقات والقرائن فى التعبير البيانى رسالة ماجستير مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة .

من هذه المعانى ما يأتى :

١ ــ الارشاد :

ومن أمثلتــه قوله تعالى : « ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمــه الله [٧٦] فالله سبحانه وتعالى ينهى أن يمتنع كاتب أن يكتب مثل ما علمه الله كتابة الوثائق ، لا يبدل ولا يغير ، لينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها له[٧٧] .

هذا هو المعنى الحقيقى للنهى وهو موجود فيها ثم يستتبــع هذا الكلام الارشاد والهداية .

٢ ــ الشفقة والرحمة :

مثل قوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة »[٧٨] فالنهى عن الضرر بالنفس من كبير دليل على شفقته . فما بالنا اذا كان ذلك من الله جل وعلا . انه لطف من الله ورحمة بنا .

وهكذا . حيثما نظرنا فى الأغراض التى هى التقليــل والتحقير فى مثل قوله تعالى « ولا تمدن عينيــك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحيــاة الدنيا لنفتنهم فيــه »[٧٩] والتيئيس فى مثل قوله تعــالى : « لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم »[٨٠] والاهانة فى مثل قوله تعالى :

---

(٧٦) سورة البقرة ٢٨٢ .

(٧٧) ينظر الكشاف ٤٠٢/١ .

(٧٨) سورة البقرة ١٩٥ .

(٧٩) سورة طه ١٣١ .

(٨٠) سورة التوبة ٦٦ .

« اخسئوا فيها ولا تكلمون »[٨١] والتوبيخ فى مثل قوله تعالى : « لا تتولوا قوما قد غضب الله عليهم »[٨٢] .

نجد فى كل هذه الشواهد المعنى الحقيقى لأسلوب النهى ماثلا واضحا ثم يفهم من العبارة ومقاماتها التى جاءت فيها المعانى التى قالوا عنها انها معان مجازية .

أسلوب النداء :

قالوا فى حقيقة النداء : انه طلب الاقبال حسا أو معنى . على أن ثمة مناقشات حول كونه من أسلوب الطلب وقد ذكر المغربى كلاما يفيد أن مدلول النداء هو الفعل (أدعو) وأما الاقبال فمطلوب باللزوم .

وعللوا بذلك عدم جزم الفعل بعده ، وقالوا : لو كان مضمنا معنى أقبل لجزم الفعل جوابا له . قال الدسوقى : ومن هنا يعلم أن جعل النداء من أقسام الطلب لدلالته على طلب الاقبال لزوما[٨٣] .

من هذه المعانى ما يأتى :

١ ــ الاغراء :

والمثال الذى ردده أصحاب الشروح للاغراء قول القائل : يا مظلوم . يطلب منه عرض شكايته .

قال ابن يعقوب : لا تريد بقولك : يا مظلوم . طلب اقباله حسا أو معنى لحصوله ، وانما أردت اغراءه وحثه على زيادة التظلم الذى هو

---

(٨٢) سورة الممتحنة ١٣ .

(٨١) سورة المؤمنون ١٠٨ .

(٨٣) ينظر مواهب الفتاح وحاشية الدسوقى ــ شروح ٣٣٣/٢ وما بعدها .

بث الشكوى ... وتحريكا لدعايتـــه على الشكوى بذكر ظلمه على وجه النداء .. »[٨٤] .

ونحن هنا نتســـاءل : هل معنى الاغراء مستفاد بالنداء ، أم أنه استفيد من الوصف للمنـــادى بأنه مظلوم ؟ الحق أن الذى أفاد الاغراء الوصف لا النـــداء لأنه لو قال له : يا رجل اشتك واعرض أمرك — لما أفاده ذكر الوصف بالظلم .

مع أن النداء موجود ، ولن يجدينا ما قاله ابن يعقوب : من أن ذكر ظلمه على وجه النـــداء حرك دعايته . لأ المرجع فى الاغراء سيبقى الى الوصف بالظلم لا الى النداء :

ألا تراه لو قال : أنت مظلوم اعرض ظلامتك يفيـــد الاغراء وليس ثمة نداء ؟

ثم ما الذى يمنع أن يكون النداء هنا على حقيقته[٨٥] . أليس فيه طلب الاقبال معنى ؟ وحثا على أن يقدم على عرض ظلامته ، ويقبل على منصفته ؟

٢ — الاختصاص :

وقد جعلوه غرضـــا مجازيا للنداء . وهذا تسامح جائز ، لأنه — حقا — ليس من النداء ، لا حقيقة ولا مجازا .

لأنهم اذا كانوا عرفوه بأنه تخصيص حكم علق بضمير باسم ظاهر صورته صورة منادى يذكر بعده معمول لأخص محذوفا وجوبا . مثل : أنا أيها الرجل يعتمد على ، ونحن العرب أقرى الناس[٨٦] .

---

(٨٤) مواهب الفتاح — شروح ٢/٣٣٥ .

(٨٥) ينظر عروس الأفراح — شروح ٣٣٥ .

(٨٦) ينظر منار السالك الى أوضح المســـالك ٢/١٥٤ لمحمد النجار الفجالة الجديدة وحاشية الدسوقى ٢/٣٣٥ .

فكيف يكون منادى وهو شيء على صورة منادى ؟

نقل الدسوقى عن شيخه العدوى — رحمهما الله — قوله : أنت خبير بأن هذا خروج عن الموضوع ، اذ كلامنا فى استعمال صيغة النداء كـ (يا) فى غير معناه مجازا • وهنا الذى استعمل فى غير معناه الأصلى (أيها الرجل) وهو ليس صيغة النداء كما لا يخفى[٨٧] •

الضرب الثانى :

وهو ما لا نستطيع أن ندعى فيه بقاء المعنى الحقيقى المتعارف عليه لقيام القرائن على عدم وجوده ، لأنه مستحيل ، أو غير مراد •

وذلك كالاستفهامات الصادرة عن العالم بالمستفهم عنه • وما لا يتحقق فيه مضمون الأمر ، والنهى ، والنداء •

ورأينا فى المعانى المفادة عن شواهد هذا الضرب،أنها من مستتبعات الكلام • أما استعمال الألفاظ فى معانيها وهل هو استعمال حقيقى أو مجازى ؟ فلنا فيه اعتباران :

الأول : أن تكون هذه الأساليب استتبعت معانيها المفادة بها ، والتى نص عليها البلاغيون ، مع كون المعنى الحقيقى مستحيلا وذلك من باب خصوص المادة ، ومن شواهد التعريض الذى هو معنى استتباعى قوله تعالى « ولا تكونوا أول كافر به » تعريضا بما كان ينبغى من المسارعة الى الايمان مع أن المعنى الحقيقى غير موجود لأنهم كانوا — وقت الخطاب — كافرين فعلا •

وكاستحالة المعنى الحقيقى للكناية فى قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » •

---

(٨٧) حاشية الدسوقى — شروح ٢/٢٣٥ •

الآخـــر: أن تكون الأساليب استعملت استعمالا مجازيا ، بواسطة اطلاق معانيها ، بأن تستعمل فى مطلق الطلب ، أو عن طريق استعمالها فى لازم من اللوازم •• ثم نفهم من جانب هذه الأســـاليب المجازية • بدلالة الفحوى والمقام المعانى التى ذكرها البلاغيون •

« ومن الممكن أن يقال : ان عبـــد القاهر قد أشار الى ما يمكن أن يكون أصلا لرأى فى باب الاستفهام • وهو أنه لم يستعمل فى الانكار ولا فى التقرير ، ولا فى غيره وانما استعمل فى التنبيه ، فهو محض معناه ، كما قال ، وعلى المخاطب أن يجد فى التقاط المراد من الســـياق ، وحسبه هذا التنبيه »(٨٨) •

ويكون الوجه فى استعماله فى التنبيـــه كونه مجازا مرسلا ، لكون التنبيه لازما للاستفهام ، فالتنبيه مقصود من اللفظ الذى استعمل فيه اللفظ مجازا ، والمعانى المذكورة لدى البلاغيين مفهومة عن اللفظ المستعمل فى معناه المجازى بدلالة السياق وفحوى المقام •

وهذا هو المسلك الذى نرتضيه ـــ أيضا ـــ فى أساليب الأمر والنهى والنـــداء • فيكون استعمالها فى مطلق الطلب مجازا ، ثم يفـــاد بهذا الاستعمال المعانى التى ذكروها •

فنقول فى الأمر فى قوله تعـــالى : « اعملوا ما شئتم »(٨٩) وقوله تعالى : « فاصبروا أو لا تصبروا »(٩٠) وقوله تعالى : « رب أوزعنى أن أشكر نعمتك »(٩١) •

---

(٨٨) دلالات التراكيب ٣٦٠ .

(٨٩) سورة فصلت ٤٠ .

(٩٠) سورة الطور ١٦ .

(٩١) سورة النمل ١٩ .

وفى قول امرى القيس :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الاصباح منك بأمثل

نقول : انها استعملت فى مطلق الطلب مجازا ، ثم فهم عنها — على الترتيب — معنى التهديد ، والتسوية ، والدعاء ، والتمنى •

ونجرى هـذا المجرى فى أسلوب النهى ، فنقول فى قوله تعـالى : « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا »(٩٢) وفى قول القائل لمن يساويه : لا تبرح مكانك • وفى قول السيد لعبده : لا تمتثل أمرى •

نقول : ان الصيغة استعملت فى مطلق الطلب مجازا ، ثم استفيـد بالفحوى من هذه الشواهد — الدعاء ، والالتماس ، والتهديد •

ولا حجر علينا أن نقول ذلك — أيضـا — فى أسلوب النداء • فكل مثال امتنعت فيـه حقيقة طلب الاقبال حسا ومعنى ، يكون لمطلق الطلب ثم يستفاد من الصيغـة معنى الاستغاثة ، أو التعجب أو التحسر ، أو الزجر ، الى غير ذلك من المعانى •

أسـلوب التمنى :

من الواضـح أنى خالفت طريقة التلخيص وشروحه ، فى طريقـة الحديث عن أنواع الانشاء الطلبى ، اذ قدموا الحديث عن التمنى لعمومه بجريانه فى الممكن والممتنع ، وأخرت الحديث عنه ، لأنى أقصد الى هذه المخالفة • حيث أن التمنى بأداته (ليت) لا تعرض له معان غير معناه الحقيقى كالأنواع الأخرى • فضلا عما فى دخوله فى أساليب الطلب من مناقشة ، اذ أخرجه بعض أهل اللغـة من أساليب الطلب ، بناء على أن العاقل لا يطلب المستحيل(٩٣) •

---

(٩٢) سورة البقرة ٢٨٦ .

(٩٣) ينظر المطول ٢٢٦ وشروح التلخيص ٢/٢٣٩ وما بعدها .

وحقيقة التمنى : طلب الشىء المحبوب الذى لا يرجى حصوله ، لاستحالته ، أو بعده ، بأداته (ليت)[٩٤] .

والتمنى يفارق الترجى من ناحيتين : ناحية قولهم : طلب الشىء المحبوب ، لأن الترجى قد يكون اشفاقا عند ترجى المكروه ، مثل : لعلى أموت الساعة . وناحية عدم رجاء الحصول ، لأن الترجى فيه ترقب الحصول ، لا طلب الحصول ، فهو ليس طلبا على التحقيق[٩٥] .

وقد يكون هذا الفرق هو الذى جعلهم يتحدثون عن المجىء بأداة الترجى (لعل) لافادة معنى التمنى ، ولم يتحدثوا عن المجىء بأداة التمنى محل أداة الترجى ، لكون الأسلوب عند المجىء الأول انشائيا ، فيتعلق غرضهم به ، بخلافه فى المجىء الثانى لكونه ترجيا وليس انشائيا .

والأدوات التى ذكروا أنها تستعمل مكان (ليت) فى التمنى هى : هل ، ولو ، وأدوات التنديم والتحضيض (هل ، ألا ، لولا ، لوما) ولعل .

والذى يبدو أن المجىء بهذه الأدوات لافادة التمنى من باب المجاز ، لكنه مجاز فى الأداة لا فى استعمال أسلوب التمنى فى معنى آخر غير معنى التمنى ، كما هو الشأن فى أساليب الاستفهام والأمر والنهى .

وفى هذا التجوز احتمالان : أن يكون من باب الاستعارة ، أو يكون من باب المجاز المرسل ، بأن نقول — مثلا عند التجوز بهل : « انه على

---

(٩٤) يرى البهاء السبكى أن المتمنى قد يكون قريبا مشرفا على الوقوع ينظر عروس الأفراح — شروح ٢/٢٣٨ .

(٤٥) المرجع السابق الموضع نفسه .

سبيل الاستعارة التبعية ، بأن شبه التمنى المطلق بمطلق استفهام ، بجامع مطلق الطلب فى كل ، فسرى التشبيه للجزئيات ، فاستعيرت (هل) الموضوعة للاستفهام الجزئى للتمنى الجزئى ، أو على سبيل المجاز المرسل ، من استعمال المقيد فى المطلق ، ثم استعماله فى المقيد »[٩٦] ، وهكذا فى بقية الأدوات .

لكن كلام أصحاب الشروح يختلف فى بيان طريق افادة معنى التمنى بـ (لعل) فبينما كلام السيد وعبد الحكيم عند شرحهما كلام الخطيب والسعد — ظاهر فى أن (لعل) استعملت فى الترجى ، ثم فهم التمنى من طريق مستتبعات الكلام . نرى كلام العصام يدل على أن (لعل) استعملت فى التمنى على سبيل المجاز ، كالأدوات الأخرى ، هل ، ولو ، وهلا ، ولوما ...

بيان ذلك : أن السيد يرى فى المثال الذى ذكره الخطيب : لعلى أحج فأزورك — أن (لعل) فيه مستعملة فى الترجى فعلا . لكن لما كان المترجى مشبها المتمنى فى الاستحالة أو البعد تولد من ذلك التمنى ، والقرينة على ذلك نصب الفعل بعد (لعل)[٩٧] والتمنى معنى استتباعى .

وعبارته : « قول الخطيب : لبعد المرجو عن الحصول — يدل على أن (لعل) هنا مستعملة فى معنى الترجى ، لكن المرجو قد شابه المتمنى ، فصار ترجيه بحيث تولد منه معنى التمنى ، فأعطى حكمه فى نصب

---

(٩٦) حاشية الدسوقى على المختصر — شروح ٢/٢٤٠ .

(٩٧) هذا على رأى البصريين لا على رأى الكوفيين . ينظر المرجع السابق الموضع نفسه .

الجواب ، وعلى هذا يظهر الفرق بين ، هل ، ولو وبين لعل فى افادة معنى التمنى »[٩٨] .

وهكذا فرق عبد الحكيم بين التمنى فى هل ولو ، وبينه فى لعل ، فجعل التمنى فى (هل ، ولو) معنى مجازيا ، وفى (لعل) من مستتبعات الكلام[٩٩] .

أما العصـــام فيفسر عبارة الخطيب (لبعد المرجو) قائلا : « أى لبعد ما من شأنه أن يترجى ، لا المرجو باستعمال (لعل) كما يتبادر ، والا لم يكن (لعل) مستعملة فى التمنى بل فى الترجى »[١٠٠] .

فهو يرى أن ما دخلت عليـــه (لعل) هنا مستحيل عند المتكلم وان كان من شـــأنه أن يكون مرجوا عند غير المتكلم . فلعل التى هى للترجى داخلة ــ هنا ــ على ما هو موضع استعمال ليت ، وفى هذا دفع للمتبادر من كلام الخطيب ، الذى ذهب اليه السيد ، وتبعه فيه عبد الحكيم ، من أن مدخول (لعل) فى المثال مرجو الحصول .

وبهذا يتضح أن العصام يعتبر المجىء بـ (لعل) فى المثال على طريق المجىء بهل ، ولو ، لافادة التمنى على الاحتمالين الســـابقين : من كون ذلك على سبيل الاستعارة التبعية ، أو المجاز المرسل .

أما النكات من مجىء هـــذه الأدوات بدلا عن (ليت) فلابراز المتمنى فى صورة الممكن الذى لا جزم بانتفائه عن طريق (هل) وللاشعار

---

(٩٨) حاشية السيد على المطول ٢٢٦ .

(٩٩) تنظر حاشية الدسوقى ٢/٢٤٥ .

(١٠٠) الأطول ١/٢٣٣ .

بعزة الشيء المتمنى بابرازه فى صورة ما لم يوجد عن طريق (لو) • ولابراز المرجو فى صورة البعيد بالاتيان بـ (لعل) •

هذا • على حسب ما تفرضه المقامات من أغراض ونكات •

خلاصة القول :

أولا : ان نظرة البلاغيين وخاصة أصحاب الشروح قد مرت بمراحل للوصول الى تحديد طريق افادة أساليب الانشاء معان غير معانيها الحقيقية• من مرحلة مجرد الاشارة الى هذه المعانى الى مرحلة ذكر الاحتمالات المتعددة فى طريق افادة هذه المعانى ثم مرحلة وضوح الرؤية والقطع بالأحكام فيها •

ثانيا : ارتضينا فى هذه المعانى المفادة بأساليب الانشاء القول بأنها معان لا تدل عليها الألفاظ وانما تفهم عنها ، أى هى معان استتباعية تفهم من عرض اللفظ ، وجانبه بالفحوى والاشارة •

ثالثا : ان هذه الأساليب ان لم تقم قرينة دالة على امتناع معانيها الحقيقية ، فهى حقائق فيها ، ثم يفهم عنها المعانى التى قال عنها أصحاب الشروح انها معان مجازية ، وقلنا انها معان استتباعية •

أما ان قامت قرينة على امتناع معانيها الحقيقية ففيها احتمالان :

الاحتمال الأول :

أن تكون هذه الأساليب قد أفادت معانيها الاستتباعية مع استحالة معانيها وتكون من خصوص المادة • ولا حرج فى ذلك •

الاحتمال الثانى :

أن تكون الأساليب مستعملة استعمالا مجازيا ، على سبيل الاطلاق، بأن يراد بأنواع الانشاء — عندئذ — مطلق الطلب ، بقرينة امتناع المعنى الحقيقى • ثم تفهم المعانى والأغراض الأخرى بدلالة الفحوى والسياق •

والله أعلم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم